

الراحل العظيم

محسن الأسدي

□ إليك يا روح الله

إلى مَنْ كانت روحه نَفْحَةً من نفحات السماء، وروضةً من رياض الإيمان، ومدرسةً لمبادئ القرآن، ودوحةً للخير والعطاء.

إلى مَنْ ذابت روحه في الإسلام فكان بحق إسلاماً يلوي رقاب الظالمين، وكان بحق إسلاماً ينتشل المعدّبين، وكان بحق إسلاماً نصيراً للمستضعفين.

إلى من ثار فلم يستأثر، وحكم فلم يستبد، وقضى فلم يظلم، ومات فلم يورث.

إلى مَنْ كانت روحه ينبوعاً ينتهل منه الأحرار والكادحون.

إلى مَنْ كانت روحه ملجأً يلوذ به الثوّار والمجاهدون.

إلى مَنْ كانت روحه بلسماً لجراح المجاهدين والمعدّبين.

إلى مَنْ كانت روحه ركناً شديداً يأوي إليه المستضعفون.
إلى مَنْ خُلد أنشودةً ترددها الشفاء، ويتسلى بها المحرومون
والمضطهدون، وتتغنى بها الأحرار والمجاهدون.

إلى مَنْ أروعنا في الجسد
إلى مَنْ أروعنا في القلب
إلى مَنْ أروعنا في الجسد
الإسلامي.

إلى مَنْ انتخبنا من أفضله كل أشكال العنصرية وأحقاد القومية.
إلى مَنْ أزال ألبتران استحوون قلبه للإسلام، ومثابةً
للمجاهدين لهذا أمننا الميمونين الذين أخرجوا من
ديارهم بغير حق إلا أن يفوقوا ربنا بسيف
الذي من القرآن أن جعلنا النبي وأبى محزون إلا أن تكون

عزيمتنا
إلى مَنْ أروعنا في الجسد
فأروعنا في القلب
فأروعنا في الجسد
اليوماني في نورية - لتسليم مجاهد منزه عن أي شيء إلا

بجزء بسيط من معروفك علينا، ومما لك من دين طوق
أعناقنا وفضل قيّد أيادينا.

أيها الحي في نفوسنا، والمائل في أرواحنا، والمتجسد في
مشاعرنا.

يا مَنْ فقدنا بفقدته الأسوة الحسنة، ويا من خسرتنا بغيابه
المثل الأعلى..

هيهات سيّدي أن نلحق بركبك، فهو ركب الصالحين
والمجاهدين!!
هيهات سيّدي أن نسمو إلى ما سموت إليه، فكُل ما سموت
إليه عظيم وجميل!!
فسلامٌ عليك يا روح الله يومَ ولدت، ويومَ متَّ، ويومَ تُبعثُ حيّاً.

□ هويّة الإمام

مقتطفات من حياة الإمام الخميني رحمه الله، أدلى بها ودونها نجله المرحوم السيّد أحمد الخميني، وأعاد سماحة الإمام تصحيحها.
كانت ولادتي حسب ما تفيد الجنسية المرقّمة ٢٧٤٤ في عام ١٢٧٩ للهجرة الشمسيّة في مدينة خمين (ولكن في الواقع في ٢٠ جمادى الثانية عام ١٣٢٠ للهجرة القمرية)
والتاريخ القطعي هو ٢٠ جمادى الثانية المصادف للأوّل من مهر عام ١٢٨١ للهجرة الشمسيّة.
اللقب مصطفى، واسم الأب مصطفى، واسم الأم هاجر (كريمة المرحوم الميرزا أحمد مجتهد الخوانساري الأصل الخميني السكن).
محلّ صدور الجنسية هو مدينة گلپايگان، وموقّعة من قبل صفري نجاد مدير دائرة الأحوال الشخصية في گلپايگان.
بدأت درسي بمدينة خمين على يد المرحوم «أبوالقاسم» وأكملت دراستي الابتدائية على يد المرحوم الشيخ جعفر والرحوم الميرزا محمود (افتخار العلماء)، ثمّ درست المقدّمات على يد خالي المرحوم الحاج الميرزا محمّد مهدي، وبدأت بدراسة المنطق على يد المرحوم النجفي الخميني، وعلى يد (آية الله بسنديده) السيوطي وشرح الباب الحادي عشر والمنطق على ما يبدو، وشيئاً من المطوّل

مسلماً .

وفي عام ١٣٣٩هـ. ق. ذهبت إلى أراك لغرض الدراسة، ودرست المطول عند المرحوم الشيخ محمد علي البروجردي، والمنطق عند الشيخ محمد الكليايگاني، وشرح اللمعة عند المرحوم عباس الأراكي .

وفي أعقاب هجرة الشيخ عبدالكريم الحائري (رحمة الله عليه)، إلى قم في عام ١٣٤٠هـ. ق. الذي صادف مع بداية السنة الهجرية الشمسية عام ١٣٠٠، أتمت دراسة المطول عند المرحوم أديب الطهراني الموسوم بالميرزا محمد علي، ودرست شيئاً من مرحلة السطوح عند المرحوم سيّد محمد تقی الخوانساري وأكملت القسم الأعظم عند الميرزا سيّد علي الیثري الكاشاني حتى نهاية مرحلة السطوح، وذهبت وإياه سوياً لدراسة مرحلة البحث الخارج عند الشيخ عبدالكريم الحائري، وأنهيها معظم بحث الخارج على يده. ودرست الفلسفة عند المرحوم السيّد أبو الحسن القزويني، والرياضيات (الهيئة والحساب) عنده أيضاً وعند المرحوم الميرزا علي أكبر اليزدي، وكان أكثر ما جنيناه من فائدة في العلوم المعنوية والعرفانية من المرحوم الميرزا محمد علي شاه آبادي .

وبعد وفاة المرحوم الحائري انهمكنا أنا وبعض الأصدقاء بالبحث والتدريس إلى حين قدوم المرحوم البروجردي إلى قم، ومن أجل توجيه الأنظار إليه أخذت أحضر في دروسه، ومع ذلك استفدت منها كثيراً .

كنت قبل مجيء المرحوم البروجردي إلى قم أدرس المعقول والعرفان والسطوح العالية في الأصول والفقه، ولكن من بعد مجيئه استجبت لطلب بعض الأخوة ومنهم المرحوم المطهري وأخذت أدرس الفقه لمرحلة البحث الخارج وتركت دراسة العلوم العقلية، وبقيت على هذا الحال طوال مدة إقامتي في قم وفي النجف. وبعد هجرتي إلى باريس حرمت من كل هذه الأمور وانشغلت بأمور أخرى وبقيت على هذا الوضع إلى يومنا هذا .

اسم زوجتي خديجة الثقفي المعروفة بقدس إيران، وهي من مواليد ١٢٩٢ للهجرة الشمسية، وهي كريمة الحاج الميرزا محمد الثقفي الطهراني. كان زواجي منها في عام ١٣٠٨ هـ. ش. ورزقت بأول مولود في عام ١٣٠٩ هـ. ش. وسميته مصطفى. ولديّ حالياً ثلاث بنات على قيد الحياة، إضافة إلى أحمد وهو من مواليد عام ١٣٢٤ هـ. ش. أسماء بناتي وفقاً لترتيب السن: صديقة، وفريدة، وفهيمه، وسعيدة، ومن بعد أحمد بنت أخرى اسمها لطيفة. وآخر ابن لي على قيد الحياة هو أحمد.

□ قراءة في حياته المباركة

قبل مئة عام، في العشرين من شهر جمادى الآخرة من عام ١٣٢٠ من الهجرة النبوية المباركة، وفي مدينة خمين التابعة لمحافظة أراك في إيران ولد روح الله الموسوي الخميني لأبوين كريمين وفي أسرة عرفت بالعلم والاستقامة والفضل والجهاد ومقارعة الظالمين، فأبوه هو آية الله السيّد مصطفى الموسوي عالم فقيه تلقى أعلى دروسه في النجف الأشرف، بعد أن قضى فيها سنوات عديدة حتى نال رتبة الاجتهاد، وعاد بعدها إلى حيث مدينته خمين؛ ليواصل فيها دروسه بحثاً وتدریساً كما راح يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر بقوة وبشكل تميّز به وعرف ذلك عنه، وقد حدى به ذلك إلى أن يخطو خطوات ويتخذ مواقف لم ترق للسلطة يومذاك، فدبر أعوانها وعملاؤها مكيدةً أدّت إلى استشهاده على أيدي غادرة اعترضته حينما كان في طريقه من مدينة خمين قاصداً مدينة أراك.

كان عمره المبارك يوم استشهاد والده رحمة الله عليه أقلّ من خمسة أشهر، فانبرت لرعايته كلّ من عمّته وهي امرأة سالحة تقيّة وأُمّه السيّدة هاجر التي كانت من أحفاد آية الله الخونساري، وهي أيضاً سيّدة تقيّة ورعة يعمر قلبها الإيمان، راحت تربّي وليدها منذ نعومة أظفاره على مخافة الله تعالى، وقد ظلّت هذه الصفة

البارزة تواقبه في سلوكه، ولم يتخلف عنها أبداً طيلة عمره المديد. نشأ سيّدنا في كنف هذه الأسرة المحافظة، وتربّى على تقاليدها، وتخلّق بأخلاقها التي كان محورها تقوى الله، وبفضل الله تعالى ورعاية هذه الأسرة الكريمة راح سيّدنا - بعد أن أبصر نور الهداية، وتنشق هوائها العطر، ورشف أوّل قطرة من مائها العذب - يتسلّق شجرة الإيمان ويتفتّحاً ظلّاتها حتى وثب إلى أعلاها، فكان بحقّ ذلك العبد الصالح الأواب، الذي عرف قيمة الإيمان، وتجلّى في قلبه حبّ الرّحمن، فغدا لا يهاب إلا الله، ولا يخشى إلا عدله وحسابه وعقابه، ولا يرجو إلا رحمة وثنائه، فكان من الذين ﴿يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم﴾^(١)، وكان من ﴿الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالأسحار...﴾^(٢).

عرف سيّدنا رضوان الله عليه بقوة القلب وصلابته في الحقّ، فراح يواجه الحياة بكلّ مفاصلها في سرائها وضررائها برأي ثابت وحكمة عالية خاصّة وهو يواجه نظاماً طاغوتياً أزرت كلّ الدول الكبرى بكلّ ما أوتيت من قوّة.

لقد كانت لمواقفه الجهادية في سبيل الله تعالى - إضافةً إلى قوّة إيمانه وقوّة شخصيته - جذورٌ قويّة تمتد بعيداً إلى الطبيعة الجهادية لأسرته وقوّة إيمانها، ولما كان يحيطه من ظروف سياسية واجتماعية اكتنفت حياته المباركة، فغدت ملامح الجهاد تصقل شخصيته منذ صباه، وراحت تتكامل في جميع أبعاده العلمية والروحية والسياسية جنباً إلى جنب تطوّر ما حوله من أوضاع وتغيّرات سياسية واجتماعية، فخلقت فيه روحاً قيادية عظيمة شكّلت هي مع إسلامية الثورة المباركة عنصرين رئيسيين في نجاح الثورة الإسلامية في إيران وديمومتها..

هذا عن نشأته وإيمانه، وجهاده، أما عن حياته العلمية التي بدأها في مدينته فقد واصل - بعد أن منّ الله تعالى عليه بذكاءٍ حادٍّ وذهنٍ وقادٍ وصبرٍ عجيبٍ - دروسه الحوزوية التي كان شغوفاً بها محبباً لها، فشرع بدراسة اللغة العربية

الأشرف، وكان زعيماً إسلامياً قلَّ نظيره بل زعيماً فريداً وقائداً فذاً لا يشقُّ له غبار، بسطت له الوسادة بعد أكثر من ألف وأربعمائة سنة على غياب الزعامة السياسية الدينية، وغياب الدولة الإسلامية عن الساحة السياسيّة، فكان في شؤونه الشخصية والدينية والعلمية والسياسية.. نموذجاً رائعاً للقائد الإسلامي الذي لم تغرّه الدنيا بملاذها، ولم تلنه بمطامعها، ولم يبتغ منها نفعاً، ولم يخرج منها بشيء... .

ظلَّ هذا العظيم هكذا كفاءات عالية وهمماً دؤوباً وعطاءً خصباً ثراً طيلة حياته الممتدة قرابة التسعين عاماً .

كما ظلَّ طيلة عمره المبارك وفيماً لدينه ومبادئه، يكدح ويكافح بعلمه ومنهجه وجهاده وبمشاريعه وآثاره، التي كان أهمّها تأسيسه للجمهورية الإسلاميّة في إيران .

كانت مواقفه جليلاً، وكانت كلماته وأحاديثه ووصاياه نابغةً من قلب يخفق حباً لله وخشيةً منه؛ لهذا كانت مرآة صادقة لسلوكه المبارك وسيرته العطرة وإيمانه وتقواه وزهده وإخلاصه .

كان همّه أن تبقى راية الإسلام مرفوعةً خفاقةً، لا يحجبها شيء أبداً، ولا يمنعها كيد كائد وحقد حاقد... .

وكان همّه أيضاً أن تعيش الأمة الإسلامية همّ الإسلام، وأن تبقى عزيزةً كبيرةً سيّدةً في مواقفها لا تابعة للآخرين ولا ذليلاً لأحد.. وأن تبقى قويةً بوجه أعدائها لا ضعيفةً ذليلةً كما أراد لها أعداؤها والمتخاذلون ممّن ينتسبون إليها .

لقد عرف سيّدنا دينه وعرف قدره وعرف تكليفه وعرف ما حوله.. وأدرك بكلّ وعي ودقّة مسؤوليته إزاء دينه وإزاء أمته، فتولّدت مواقفه وآراؤه من خلال ذلك كلّ، وتجلّت مواهبه، وصقلت شخصيته، فكان بحقّ العبد الصالح والعباد الزاهد والعالم المجاهد والرجل الشجاع المتفاني في خدمة دينه وأمته، فاقتمدى به

المخلصون، وبايعته الجماهير بإرادتها واختيارها وبشكل يبعث على الفخر والعجب؛ لأنها وجدت فيه الإخلاص كله والصدق كله والزهد كله.. واندفع بكامل وعيه لوظيفته الشرعية وللغة عصره وتناقضاته.. لتحمل مسؤولية السماء وأمانتها على عظمتها وخطورتها.. وراح يشق طريقه بكل ثقة واطمئنان لموقفه وسلامته مهما كانت التضحيات، والصعاب التي نصّبها أعداء الإسلام، مستفيداً من كل الطاقات التي حوله، وموظفاً كل المفاصل والمحاور الإسلامية، وما توفرت عليه الشريعة من فرص سواء أكانت عبادية أو غيرها.. وفريضة الحج كانت ولا زالت واحدة من أهمّ العبادات الإسلامية وأوسعها وأعظمها، رأى فيها موقراً سنوياً عظيماً وقوة ووسيلة دينية وسياسية وإعلامية يستطيع من خلالها توعية المسلمين وشدّهم إلى دينهم، وأن يضع عنهم إصرهم والأغلال، ومعالجة الجراح الغائرة في جسم هذه الأمة عبر سنين الظلم والحيف والاضطهاد بسبب إبعادها عن منزلتها ومكانتها...

يقول سماحته عن فريضة الحج: «الجميع يعلم أنه ليس بمقدور أي إنسان وأية دولة عقد مثل هذا المؤتمر الكبير، وأن أمر الله تعالى هو الذي صنع هذا الاجتماع العظيم، إلا أنه مع الأسف لم يستطع المسلمون على مرّ التاريخ أن يستفيدوا من هذه القوة السماوية، وهذا المؤتمر الإسلامي كما ينبغي لصالح الإسلام والمسلمين»^(٤). فوضع ثقله فيها وصبّ جهوده على إقامتها بشكلها القائم على محورين أساسيين:

● وحدة المسلمين.

● وإعلان البراءة من المشركين.

وواصل تحرّكه هذا على كلا المحورين بكلّ قوّة وإصرار.

يقول السيّد الإمام في خصوص الوحدة بين المسلمين:

□ هذه الوحدة التي يؤكّدها ويكرّرها الإسلام الشريف والقرآن الكريم، ويجب

تحقيقها في الواقع من خلال الدعوة والتبليغ بها بشكل واسع، ومركز هذه الدعوة مكة المعظمة عندما يجتمع المسلمون لأداء فريضة الحج..

□ الذي يقتلع كل المآسي ويقطع دابر الفساد هو طريق واحد: الوحدة بين المسلمين بل وحدة جميع المستضعفين، وكل المستضعفين والمكبلين بالسلاسل في العالم.

□ الحجّاج المحترمون الموجودون في جوار بيت الله ومحل رحمته، تعاطوا برفق ومروءة وإخوة إسلامية مع جميع عباد الله، واعتبروا الجميع ودون النظر إلى اللون واللسان والمنطقة والمحيط منكم، وكونوا جميعاً يداً قرآنيةً واحدةً حتى تسيطر على أعداء الإسلام والإنسانية.

□ يجب أن نعلم أن إحدى الفلسفات الاجتماعية لهذا التجمّع العظيم من جميع أنحاء العالم توثيق عرى الوحدة بين أتباع نبي الإسلام، أتباع القرآن الكريم في مقابل طواغيت العالم.

كما حذر سماحته الحجّاج من مغبة التساهل في هذا الأمر أو إيجاد خلل

فيه:

□ وإذا لا سمح الله أوجد بعض الحجّاج من خلال أعمالهم خللاً في هذه الوحدة أدت إلى التفرقة، فذلك سيوجب سخط رسول الله ﷺ وعذاب الله القادر الجبار.

أما بخصوص المحور الثاني وهو البراءة من المشركين فيقول سماحته:

□ إن إعلان البراءة من المشركين تعتبر من الأركان التوحيدية والواجبات السياسية للحج.. فهل تحقيق الدين هو غير إعلان المحبة والإخلاص للحق، وإعلان الغضب والبراءة من الباطل؟

فحاشا أن يتحقّق إخلاص الموحّدين في حبّهم بغير إظهار السخط على المشركين والمنافقين، وأي بيت هو أفضل من الكعبة البيت الآمن والطاهر، بيت الناس لنسب كل أشكال الظلم والعدوان والاستغلال والرقّ والدناءة واللا إنسانية قولاً وفعلاً، وتحطيم

أصنام الآلهة تجديداً لميثاقه: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ وذلك إحياء لذكرى أهم وأكبر حركة سياسية للرسول، التي عبّر عنها القرآن الكريم بقوله: ﴿وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ..﴾.

أيها الحجاج.. إحملوا من ربكم نداءً إلى شعوبكم أن لا تعبدوا غير الله، وأن لا تخضعوا لغيره.

نعم كونوا دعاةً لله مخلصين له الدين ولو كره المشركون.

وهكذا راح سماحته في كل خطاباته يؤكد على هذين المحورين لهذه الفريضة المقدسة، ويقف بكل قوة مدافعاً عنهما مندداً بمن يريد تضعيفها أو النيل من الذين ينادون بهما، وبقي - رغم شيخوخته ومتاعبه الصحية والصعاب الكثيرة، وما تكنه الدول الكبرى ومؤسساتها وعملاؤها من عداة لتحرّكاته، وحقد دفين على الإسلام والمسلمين الواعين - على موقفه هذا حتى آخر عمره الشريف لم يغيّر ولم يبدّل.

فسلام عليه من رجل صبور وقائد جسور، وسلام عليه من راحلٍ عظيم!

الهوامش :

- (١) المائة: ٥٤.
- (٢) آل عمران: ١٧.
- (٣) مستدرک الحاکم ٤: ٢٢، الخصائص الكبرى ٣: ٢٣.
- (٤) الحج في كلام الإمام: ٧٧.